دار نشر جامعة قطر
Qatar University Press

مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Ibn Khaldon Center for Humanities and Social Sciences

OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 13 نوفمبر 2021
تاريخ القبـــول: 12 ديسمبر 2021

مراجعة كتاب

أحمـد أبـو شـوك، «الثـورة السـودانية (2018–2019) مقاربـة توثيقية–تحليليـة لدوافعها ومراحلها وتحدياتها»

مراجعة: المهدي جراد

أستاذ مشارك في التاريخ الحديث، قسم العلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر

Book Review

Ahmed Abu-Shouk, *The Sudanese revolution (2018 -2019), a documentary-analytical approach to its motives, stages and challenges*

Reviewed By: Mehdi Jerad

Associate professor of Modern History, Humanities Department, College of Arts and Sciences
mjerad@qu.edu.qa

عنوان الكتاب: الثورة السودانية (2018-2019) مقاربة توثيقية-تحليلية لدوافعها ومراحلها وتحدياتها

المؤلف: أحمد إبراهيم أبو شوك

الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

مكان النشر: بيروت

سنة النشر: 2021

عدد الصفحات: 640 صفحة

تدمك: 9786144453872

للاقتباس: جراد، المهدي. «مراجعة كتاب: "الثورة السودانية (2018-2019) مقاربة توثيقية-تحليلية لدوافعها ومراحلها وتحدياتها"، لأحمد أبو شوك»، مجلة تجسير، المجلد الرابع، العدد 1، 2022

https://doi.org/10.29117/tis.2022.0089

© 2022، جراد، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

صدر كتاب الثورة السودانية (2018-2019) مقاربة توثيقية تحليلية لدوافعها ومراحلها وتحدياتها، عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات عام 2021 لمؤلفه الأستاذ أحمد إبراهيم أبو شوك، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة قطر. يبدأ الكتاب بتقديم من الدكتور عزمي بشارة، المدير العام لمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وجاء في 640 صفحةً موزعة على سبعة فصول، إضافة إلى الملاحق (حوالي 250 صفحةً)، وقائمة المراجع، والفهرس العام.

ولئن يبدو للقارئ منذ الوهلة الأولى أن العمل لا يغدو أن يتجاوز عملية مسح وثائقي لوقائع الثورة ورصدًا لتسلسلها الزمني وللتحديات التي تواجه الفترة الانتقالية الحالية التي تمر بها السودان؛ إلا أن القراءة المتأنية والفاحصة تبرز أن المؤلف قد نجح في تقديم عمل أكاديمي فريد من نوعه شرّح من خلاله ملابسات الثورة وخلفياتها، متوخيًا مقاربة تحليلية عن ثورة ديسمبر 2018، ومستجليًا المبادرات السياسية والمفاوضات التي تلت سقوط رأس السلطة، ومتسلحًا بقراءات نظرية جادة ومعتمدًا على مدونة مصدرية متنوعة. فقد اختبر المؤلف التقارير الصادرة عن مراكز البحث العلمي والمؤسسات الأكاديمية والكتابات الإسفيرية والصور والخرائط والرسومات التوضيحية بما هي تمثلات مستبطنة من قبل الفاعلين الاجتماعيين فضلًا عن التسجيلات الصوتية والمقالات الصحفية المنشورة ومنصات التواصل الاجتماعي. وقد عالج مختلف هذه المصادر بحرفية عالية ومكابدة تستحق التنويه وتشي برغبة المؤرخ في النفاذ إلى الفضاء العمومي والمشاركة في صياغة الأفكار ذات الصلة بالمسار الثوري، إنه ببساطة يحمل هموم الثورة الجاثمة بثقلها على مخيلة السودانيين على اختلاف مشاربهم.

وقد تناول الفصل الأول بالتحليل حكومة الإنقاذ (1989-2019) والأسباب غير المباشرة التي ساهمت في «تراكم الغبن التاريخي» واندلاع الثورة السودانية في ديسمبر 2018، إضافة إلى رصد الأشكال النضالية السلمية للفاعلين الاجتماعيين ضد النظام القائم آنذاك. وخلص المؤلف إلى فكرة أساسية، مفادها أن ما وسمه بالحرمان النسبي قد وحّد الاحتجاجات الشعبية وجعلها تنتقل من حالتها العفوية إلى احتجاجات مؤطّرة هاتفة بعبارة «تسقط بس».

ويناقش الفصلان الثاني والثالث أحداث الثورة السودانية منذ اندلاع شرارتها الأولى في مدينة الدمازين في ولاية النيل الأزرق وصولًا إلى بداية الاعتصام الذي أدى إلى سقوط نظام عمر حسن البشير في أبريل 2019، مع إبراز خطاب السلطة. وشدّد المؤلف على الخلل الذي أصاب الموازنة العامة حيث خُصّص الجزء الأكبر منها إلى «الشؤون الأمنية» في حين لم تتجاوز حصة قطاعي الصحة والتعليم خمس إجمالي الموازنة العامة. كما تطرق إلى الأليات التي استخدمتها السلطة لتشوية الحركة الاحتجاجية

وتصدى المؤلف في الفصل الرابع والخامس والسادس إلى مسألة على غاية من الأهمية تتعلق بالمبادرات وحيثياتها وخلفياتها وتحدياتها ، معرجًا على المفاوضات بعد إسقاط النظام قبل وبعد فض الاعتصام والتي توجت بتوقيع الاتفاق السياسي والوثيقة الدستورية.

وتناول الفصل السابع والأخير الموسوم بـ«الحكومة الانتقالية وتحديات الانتقال الديمقراطي» اختصاصات الحكومة الانتقالية وسلطاتها وإجراءات تشكيلها. في حين تطرقت خاتمة الكتاب إلى الفترة الانتقالية الحالية (2019-2022) ومقارنتها بالفترات السابقة مع إبراز القواسم المشتركة وأوجه الاختلاف بينها. وعرض المؤلف بعض المسارات الجديرة لبلوغ نهج التحول الديمقراطي المستدام.

يندرج الكتاب ضمن ما يُعرف بالتاريخ الراهن الذي بدأ يحظى باهتمام المؤرخين منذ سنوات، وفي هذا الصدد لا يُخفي المؤلف وعيه بمزالق هذا الاختصاص نظرًا لقصر المسافة بين زمن وقوع الأحداث وتاريخ معالجتها وتحليلها في ظل توفر كم هائل من المعطيات الإلكترونية. ولا ريب أن المؤرخ اليوم لم يعد ذاك الذي يسرد الأخبار الغابرة والأحداث بل صار مرتبطا

بقضايا العصر بهدف المساهمة في تلبية حاجة راهنة والمشاركة في فهم الماضي وتمثل الحاضر. وعليه نعتقد أن هذا العمل عبارة عن تأملات فورية عمل خلالها الباحث على الانتقال من طور المعرفة إلى طور الفكر عبر مناوشة الجانب الأنطولوجي في التاريخ ومثّل لحظة فارقة في تقديري «لاسترجاع التاريخ» صدارته للعلوم الانسانية بواسطة الاهتمام بالغايات المواطنية، في ظل المكانة المُتعاظمة لوسائل الاعلام والاتصال، بحيث لم يعُد المؤرخ يحتكر لوحده كتابة التاريخ بل أضحى الحديث في أيامنا عن تاريخ مدرسي وتاريخ صحفي وتاريخ شعبي... ويسوغ أن نعتبر أن أحمد أبو شوك قد نجح في توثيق أحداث الثورة بحرفية عالية مُدليا بشهادته بوصفه مُموّل سياق على المدى القصير وعبر مقاربة مجهرية.

لقد اعتمد المؤلف على مواقع إلكترونية كانت جزءًا من أدوات الحراك الثوري مثل شبكة تجمع المهنيين السودانيين. غير أن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان في هذا الإطار هو التالي: أليست هذه المصادر مرآة لذاكرة انتقائية تحمل هواجس منتجها؟ وكيف يمكن الوقوف على مسافة منها لتوثيق الأحداث وتحليلها في الزمن الراهن؟ ولئن أشار المؤلف إلى «تحقيق» و« تمحيص» الأخبار المنقولة عن المدونة المصدرية إلا أنه لم يفصح عن طريقة معالجتها بدقة، مثلا عبر مكافحتها ببعضها البعض أم عبر معالجتها معالجة كمية مثلما توحي بذلك بعض الجداول التي ضبطها لهذا الغرض، واكتفى بذكر المناهج المتبعة عبر الفصول وتصنيف مصادره. ومهما يكن من أمر فإن تاريخ الزمن الراهن يبقى تاريخا تحت المراقبة لأنه ببساطة تاريخ غير منتهي يفترض إجراء المؤرخ لحوار مع مصادره.

لا مُراء في أن المؤلف قد استفاد من القراءات الجادة التي استأنس بها لدراسة الثورة السودانية دون أن يقع في فخ التنميط مع ثورات أخرى، ذلك أن لكل ثورة خصوصياتها المرتبطة بسياقها التاريخي، غير أن ما يُمكن التعجيل به في هذا الإطار هو تشديده على خاصية اندلاع الثورة من الأطراف (منطقة الدمازين) ومن الأسفل – خلافا لما هو مألوف – وهي خاصية نجد لها تقاطعات مع ثورات أخرى. لكن اللافت للانتباه هو الدور الذي لعبته النخب السودانية في إطار نظرية تعبئة الموارد والتي أعلنت مساندتها للثورة بصفة مبكرة وأعني على وجه التحديد أساتذة جامعة الخرطوم الذين ضخوا دماء جديدة لصالح الثورة، في حين، وعلى سبيل المثال، نُعاين على النقيض من ذلك غيابًا تامًا للنخب في تونس زمن قيام الثورة وخُنوعها للكتل الضاغطة، بل إن البعض من هذه النخب قد شكّك لاحقًا في جدوى توصيف الحراك الاحتجاجي بالثورة، مستبطنًا مقاومة كل نفس ثوري. وربما كان على المؤلف أن يجد بعض القوالب التفسيرية التي من شأنها توضيح العلاقة الوثيقة بين منطقة النيل الأزرق وبين اندلاع شرارة الثورة السودانية.

جرّب المؤلف ضمن أثره العديد من النماذج المعرفية واستطاع بمستويات متباينة من التوفيق وملاءمتها مع قضية الثورة السودانية. كما أوحت لنا قراءة ما نضّده من عروض بقدرته على مجادلة العديد من وجهات النظر المعرفية والاستنتاجات المتسرّعة غير الدقيقة، متدخّلا في العديد من المناسبات لتصويب طروحاتها. ولئن استند العمل إلى التجسيد النظري واحتاجت بعض التصوّرات أو الفرضيات التأويلية التي قدمها إلى تدقيق بحسب طريقة استغلال المعطيات المتاحة، أو إلى إحالة واضحة على معالجات متقاطعة مع تصوّرات المؤلِف وشهادات الفاعلين أو المتابعين للشأن العام من السودانيين وغيرهم، فإن فسح المجال أحيانا للمقارنات الافقية وخاصة المتّصلة بتجارب بعض الدول العربية (الجزائر ومصر)، قد ساهم في إكساب متنه نَفَسًا عميقًا.

إن المقاربة التوثيقية التي اتبعها المؤلف تفتح أفاقا للمؤرخين لمزيد التعمق في دراسة الثورات وتجعل القارئ يطرح عدة أسئلة لعل من أبرزها: هل جُبلت البلاد العربية على انتكاسة ثوراتها وتقبل شظايا العسكر؟ ويزيد التساؤل إلحاحا خاصة وأن الثورة السودانية اتخذت مسارا سلميا، ألم ترفع الثورة السودانية شعار «سلمية سلمية» غير أن هذا التوجه الذي يُعبر عن نضج الشعب لم يرق للبعض – أطراف سودانية وأخرى أجنبية – ولم يستسيغوه فكان العمل على وأد الثورة

وعدم السماح باسترسال هذه التجربة.

في الأخير، ينبغي الإقرار بأن هذا الكتاب يعتبر إضافة حقيقية للمكتبة التاريخية العربية وعملًا أكاديميًا جديرًا بالقراءة، نأمُل أن تتبعه كتابات أخرى تُزيح الغبار عن الأحداث المتسارعة التي يعيش على وقعها العالم العربي، وتمتزج فيها التأملات الفورية – رغم محاذيرها – بالأثر العفوي للكتابة. والمهم أن المؤلف قد دحض بشكل أو بآخر مقولة روّج لها الغرب لفترات غابرة، وهي أن «الديمقراطية لا يمكن أن تينع في المناطق الحارة»، ودفع نحو المصالحة بين ماض تليدٍ ومستقبل جديدٍ.